والجامع بينهما يتمثل في اعتمادهما على علم اللغة

الأسلوبية ولسانيات النص

إن محاولة ربط الوشائج بين الأسلوبية ولسانيات النص، يتطلب منا في البداية تقديم مفهوم واضح على الأقل لمفهوم النص،ثم طرح ما أقامته الدراسات النصية من مبادئ، وما تبنته من إجراءات لنتمكن في الأخير من تحديد طبيعة العلاقة بين الأسلوبية ولسانيات النص.

1–تعريف النص:

أ–مفهوم النص في المعجم العربي

إن الوقوف على الدلالة المعجمية لمصطلح النص يقتضي منا البحث عنها في مخازن التراث، وما تورده المعاجم الحديثة،حتى ندرك الطابع المفاهيمي الذي يأخذه النص.

فمن المصادر القديمة، نورد ما ذكره ابن منظور في لسان العرب؛ حيث يقول: " (النص) رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً : رفعه. وكل ما أَظهِر فقد نُصَّ. ووضع على المنصة : أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. وقال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها، ومنه قيل : نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء، حين تستخرج كل ما عنده، وفي حديث هرقل: ينصهم أي يستخرج رأيهم ويظهره، ومنه قول الفقهاء: نص القرآن، ونص السنة. أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام، وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام"[1]

وجاء في القاموس المحيط في مادة (نصص) قوله : "(نص) الحديث رفعه، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير، والشيء حركه، ومنه فلان يَنصُّ أنفه غضباً وهو نصاص الأنف، والمتاع : جعل بعضه فوق بعض، وفلاناً :استقصى

[1] ابن منظور، لسان العرب، مكتبة دار المعارف، بالقاهرة، 1979، ج13، مادة (نصص)، ص 97-98.

مسألته عن الشيء، والعروس أقعدها على المنصة بالكسر، وهي ما ترفع عليه فانتصت، والشيء أظهره، والشواء ينص نصيصاً: صوّتَ على النار، والقدر غلت، والمنصة بالفتح الجَمَلَة من نصّ المتاع، والنص الإسناد إلى الرئيس الأكبر والترقيات والتعيين على شيء ما، وسير نُصٌّ ونصيص جدٌّ رفيع، وإذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة أولى:أي بلغن الغاية التي عقلن فيها، أو قدرن على الحقاق وهو الخصام أو حوق فيهن فقال كل من الأولياء أنا أحق، أو استعارة حقاق الإبل: أي انتهى صغرهن، ونصيص القوم: عددهم، والنّصّة: العصفورة بالضم الخصلة من الشعر، أو الشعر الذي يقع على وجهها من مقدم رأسها، وحية نصناص أي كثيرة الحركة ونصص غريمه، وناصه:استقصى عليه وناقشه، وانتصب انقبض، وانتصب ارتفع، ونصنصه: حركه وقلقله والبعير أثبتت ركبتيه في الأرض وتحرك للنهوض"[1].

وجاء في مختار الصحاح في مادة (ن .ص .ص) " في حديث علي رضي الله عنه: " إذا بلغ النساء نص الحقاق " يعني منتهى بلوغ العقل

[1] الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997، ج1، مادة (نص)، ص 858.

و(نصنص):الشيء:حركه. وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه حين دخل عليه عمر رضي الله عنه وهو ينصنص لسانه، ويقول: هذا أوردني الموارد"[1].

كما قد يستخدم النص في معان اصطلاحية، فالنص في الكتابات الأصولية والفقهية هو القرآن الكريم، أو هو مجموعة من القواعد المستمدة من القرآن والسنة حيث تعتمد القاعدة الفقهية على: أن لا اجتهاد مع وجود النص، والنص في علم الحديث هو التوقيف والتعيين، وهناك النص والرأي أو النقل والعقل.

ومما يلاحظ عليها جميعا أنها تتفق في كون مادة ن ص ص تشير إلى الرفعة والعلو والظهور

وأما بالنسبة للمعاجم الحديثة، فنورد ما ذكره خليل أحمد خليل في معجمه، حين رأى أن هناك العديد من المفاهيم التي تلف النص، وذكر منها:

" يعني في العربية الرفع البالغ ومنه منصة العروس.

* النص كلام مفهوم المعنى فهو مورد ومنهل ومرجع.

* التنصيص المبالغة في النص وصولاً إلى النص والنصيصة .

* النص (Textus) هو النسيج، أي الكتابة الأصلية الصحيحة، المنسوجة على منوالها الفريد، مقابل الملاحظات (Notes) والشروحات والتعليقات (Commentaries).

[1] الرازي، مختار الصحاح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1999، مادة (نص)، ص 381-382.

* النص: المدونة، الكتاب في لغته الأولى، غير المترجم، قرأت فلاناً في نصه، أي في أصله الموضوع.

* النص كل مدونة مخطوطة أو مطبوعة، ومنه النص المشترك (Co- Texte) .

* " سياق النص، مساقه، أجزاء من نص تسبق استشهاداً، (Citation)، أو تليه، فتمده بمعناه الصحيح .

يقال: ضع الحدث في سياقه التاريخي. أي: في مكانه الصحيح.

* التساوق (Contexture) هو التوالف بين أجزاء الكل: تناسق القصيدة، تساوق الكلام.[1].

ويظهر من خلال ما تم ذكره أن المعاجم القديمة تتفق في كون أن النص يعني العلو والارتفاع،بيد أن ما أورده صاحب معجم المصطلحات العربية يختلف عن ذلك فهو يعني عنده الظهور والاكتمال .ولعل هذا الأمر قد استجلبه مما أورده الدرس اللغوي الحديث،وهو ما يجعلنا نطل على المعاجم الغربية لتقف على طبيعة الدلالة التي يحملها في ذلك

ب–مفهوم النص في المعجم الغربي.

[1] خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات العربية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص136-137.

لفظ (Text) مأخوذ عن اليونانية، من اللفظ (Textus)، والتي تعني (Tissue)، أو (Style of literary work)، وترتبط بـ (Textile)، والتي ترتبط بآلات وأدوات النسج. وقد ورد في معنى لفظ (نص) (Text) ما ترجمته:

" الجمل والكلمات نفسها المكتوبة (أو المطبوعة أو المنقوشة) أصلاً، الكتاب أو المخطوطة أو النسخة التي تضم هذا.

-البنية التي تشكلها الكلمات وفق ترتيبها.

-مضمون البحث (حول موضوع ما)، الجزء الشكلي (أو الرسمي) المعتمد.

-الجمل والكلمات نفسها من الإنجيل.

-قطعة قصيرة من الأناجيل، يستشهد بها المرء كمصدر موثوق أو كشعار أخلاقي أو كموضوع شرح أو موعظة أو حكمة أو بديهة أو مثل أو قول مأثور أو نصوص يستشهد بها.

-في استعمال لاحق ... ... يستخدمها المرء كاسم للكتاب المقرر الدراسي.

-عملية أو فن النسج [الحبك] ، إنتاج نسيج محبوك، أي بنية طبيعية لها المظهر أو التكوين النسجي، مثلاً نسيج العنكبوت.

-تركيب أو بنية مادة أي شيء مع مراعاة عناصره التشكيلية المكونة أو الخصائص الفيزيائية... للأشياء غير المادية، التكوين أو الطبيعة أو الخاصية الناجمة عن التركيب الفكري، كنسج خواص متنوعة.

-في الفنون الجميلة: تمثيل البنية وتحوير دقيق للسطح.

- أما النصية فهي التمسك التام بالنص خاصة الأناجيل"[1] .

وتكاد تتفق أغلب المعاجم الغربية على ربط مفهوم النص بالأصل اللاتيني للفظ(TEXT)، فـ (TEXT) باللاتينية مشتق من (TEXTUS) بمعنى النسيج (TISSUE) المشتقة بدورها من (TEXTURE) بمعنى نسج، ومنه تطلق كلمة (TEXTIL) على ما له علاقة بالنسيج ،

2-جدل المفهوم بين الائتلاف والاختلاف

إذا كانت العلاقة بين النص و (TEXT) غير متطابقة في العربية، حيث يرد مفهوم (TEXT) ضمنياً في لفظ (نص)، فإن التطابق أكبر بين الدالّ (TEXT) والدال (نسيج)؛ فلقد ورد مفهوم (TEXT) بدلالته المباشرة في القواميس العربية ، واستخدمه النقاد العرب القدماء في تعريفاتهم، بما يؤكد معرفة العرب لهذه العلاقة تماماً، كتعامل الغرب مع الأصل اللاتيني للفظ (TEXT). ففي القاموس المحيط " نسج الثوب ينسجه وينسجه فهو نساج، وصنعته النساجة .والموضع منسج ومنسج. والكلام لخصه، وزوره وكنبر أداة يمد عليها

[1]) Webster's Third New International Dictionary of the English Language unbraided - Merriam- Webster INC. Publishers Spring field, Massachusetts, U.S.A. P 2365-2366.

الثوب لينسج، ومن الفرس أسفل من حاركه. وهو نسيج وحده لا نظير له في العلم وغيره وذلك لأن الثوب إذا كان رفيعاً لم ينسج على منواله غيره. وناقة نسوج لا يضرب عليها الحمل، أو التي تقدمه إلى كاهلها لشدة سيرها ونسج الريح الربع أي يتعاوره ريحان طولاً وعرضاً، والنساج الزراد والكذاب، والنسج بضمتين السجادات"[1].

كما ربط العرب في ممارساتهم النقدية بين " نسج الثوب " و" نسج الشعر" لأن كلا منها يحتاج إلى براعة عالية حتى يكون هناك التناسق الذي هو أساس الإبداع،وفي هذا المنحى يقول الجاحظ: " إنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[2]. ويؤيده ابن طباطبا حين يرى أن " الشاعر الحذق كالنساج الحاذق، الذي يفوق وشيه بأحسن التفويق، ويسديه، وينيره ولا يهلهل شيئاً منه فيشينه. وكالنقاش الرقيق الذي يصنع الأصابع في أحسن تقاسيم نقشه. ويشيع كل صيغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان "[3].

[1] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، مادة (نسج)، ص 209.

[2] الجاحظ، الحيوان، تح:عبد السلام محمد هارون،مكتبة مصطفى البابي،مصر ط2، ج1، ص 131.

[3] ابن طباطبا العلوى، عيار الشعر، تح: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط3، ص19.

أما عبد القاهر الجرجاني فقد كان أكثر وضوحا وذلك حين يقول: "واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض، حتى تصير قطعة واحدة...فكما لا تكون الفضة أو الذهب خاتماً أو سواراً أو غيرها من أصناف الحلي بأنفسهما ولكن بما يحدث فيهما من الصورة، كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف شعراً من غير أن يحدث فيها النظم... كما أن محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، كما الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام، أن تنظر في مجرد معناه..."[1]. "

يتبين من الاستقراء لما سبق وجود فرق شاسع في مفهوم النص بين ما تناوله القدماء، وما أثبته المحدثون؛ فقديما كان يعني الظهور والاكتمال،وكان التعامل معه دلاليا فقط. أما الدراسات الحداثية، وما بعد الحداثية فقد تعاملت مع النص كمفهوم دلالي وإجرائي أيضا .

لقد تطورت دلالة النص بتطور الأبحاث في لسانيات الجملة وما بعدها، ولا يضير العربية عدم وجود تعريف محدد بدقة للنص. فلقد " أدرك عدد من المفكرين الغربيين أهمية هذا الأمر بعد سقوط البلاغة عندهم. ولذا نرى أن

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1982، بدون طبعة، ص 316، 373، 312.

(رولان بارت) مثلاً يرفض تعريف (تودورف) للنص وينتقد عليه قربه من البلاغة، لأنه كما قال: (خاضع لمبادئ العلم الوصفي)، ثم ينتهي إلى القول بعد تحليل طويل: "نفهم الآن أن نظرية النص موضوعة في غير مكانها المناسب في المجال الحالي لنظرية المعرفة، ولكنها تستمد قوتها ومعناها من تموضعها اللامناسب بالنسبة إلى العلوم التقليدية للأثر الفني– تلك العلوم التي كانت ولا تزال علوماً للشكل أو للمضمون"[1].

إن غياب تعريف للنص عند القدماء لا يعني غياب ممارسات نصية تنبئ عن وعي العرب وإدراكهم لتلك المفاهيم المستحدثة ،فالعلم الحديث يمتاز بالتخصص والكلام في جميع الأشياء حتى البديهية منها ،أما العرب فديدنهم الإشارة،وهي عندهم أبلغ من العبارة ،ولهذا يقال:رب إشارة أبلغ من ألف عبارة.

3–المعايير النصية:

ويقصد بها مجموعة المعايير التي تدخل النص في عالم النصوص،وهي

[1] منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية– دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، ط1، 1990، ص208.

-الاتساق : cohésionوهو:"ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص أو خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برُمَّته"1

وللاتساق مصطلحات عديدة نابعة من الاختلاف في الترجمة وهي: السبك والربط، والتماسك.

ولكونه من أهم العناصر ،ينبغي علينا الحديث عن أهم آلياته الإجرائية رغم الاختلاف في ذلك، بيد أن دراسة هالداي ورقية حسن في كتابهما المعنون : التماسك في الإنجليزية" تعد من أهم الدراسات في هذا المجال، ولهذا سنتعرض لأهم أسس التماسك النصي عندهما انطلاقا من ملخصهما في الفصل الأخير من كتابهما، وهي عندهما ما يلي.2

[1] محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص5.

(2)Halliday & Ruqaiya Hasan Cohesion in English pp: 333- 338,

1- الإحالة، وهي تشمل ما يتعلق بالضمير، وما يتعلق بالوظيفة كالكلمات الدالة على الملكية، والإشارة، وما يتعلق بالظرفية كظرفي الزمان والمكان، وإحالة المقارنات، والإحالة الوظيفية.

2- التبديل (الإحلال) وتشمل استخدام اسم بدل اسم آخر، وكذا استخدام فعل بديلا عن فعل آخر، واستخدام علامة النسب بديلا عن ذكر المنسوب إليه.

3- الحذف، ويشمل الحذف في الأسماء، والحذف في الأفعال، وحذف العبارة، والحذف الشكلي، والحذف العام، والحذف الصفري، والحذف الوظيفي.

4- الربط، ويشمل الإضافة، والربط البسيط، والربط المركب، والربط المؤكد، والموازنة، والاستدراك، والمغايرة الداخلية والخارجية، والتصويب في المعنى، والتصويب في اللفظ، الربط عن طريق التسبيب العام والمحدد، وتعاكس السببية، والربط الشرطي، والعلاقات الزمانية.

5- الخلاصة، ويشمل التلخيص، والإجمال.

6- القصد.

7- التماسك المعجمي، ويشمل التكرار، والترادف، والإحداثات، والنقاط العامة، والتنظيم.

الانسجام Cohérence: ويسمى أيضا الحبك، والتماسك الدلالي والتنسيق، وهو معني "بالعلاقات المعنوية والمنطقية بين الجمل؛ حيث لا تكون هناك روابطُ ظاهرة بينها"[1]

كما يعتقد أحد الباحثين أن الانسجام أعمّ من الاتساق وأعمقُ؛ "بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي صرفَ الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتُولده"[2]

ويعتمد الانسجام على مجموعة من العمليات الضمنية منها: السياق، ومبدأ التأويل المحلي، ومبدأ التشابه والتغريض، والمعرفة الخلفية.

المقصدية Intentionalité: وتعني "موقف مُنشئ النصِّ من كونه صورةً ما من صور اللغة، قصد بها أن تكون نصًّا يتمتَّع بالسَّبْك والالتحام، وأنَّ مثل هذا النَّص وسيلةٌ من وسائل متابعة خُطَّة معينة للوصول إلى غاية معيَّنة"[3]

---

[1] حمد مفتاح، دينامية النص: تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، ط1، 1987، ص 151.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص5.

[3] روبرت دي بوجراند؛ النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص 103.

المقبولية Acceptabilité: والمقصود به "موقف مستقبِل النص إزاء كون صورةٍ ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولةً، من حيث هي نصٌّ ذو سَبْك والتحام".[1]

الإعلامية (الإخبارية) informativité: وتعني "الجدة والتنوُّع الذي تُوصَف به المعلومات في بعض المواقف"[2]

الموقفية situationalité: وتتعلق بالسياق بأنواعه:السياق اللغوي، والعاطفي، الثقافي وغيرها

4–العلاقة بين الأسلوبية ولسانيات النص

لو حاولنا أن ندرس الوشائج بين ما تطرحه الأسلوبية، وما تقدمه لسانيات النص نجد مايلي:

أ– ما هو متعلق بالجانب المفهومي : حيث تقوم الأسلوبية على مجموعة من المبادئ منها:

أ–1–الاختيار: وهذا يعني بصورة بسيطة أن أي مبدع يختار بحرية مطلقة الطريقة التي ينسج بها عمله، وحريته هذه تكون وفق المستويات الآتية:3:

[1] روبرت دي بوجراند؛ النص والخطاب والإجراء، ص 104.

[2] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 249.

[3] ينظر، صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص117

-اختيار الغرض، ويمكن أن تتعدد الأغراض في العمل الإبداعي الواحد.

-اختيار الموضوع الذي يود المبدع الإسهام فيه.

-اختيار الشفرة" الكود "على مستوى تعدد اللغات.ويدخل ضمنه اختيار كلمة دون غيرها انسجاما مع الموقف أو السياق ، على سبيل المثال اختيار كلمة " استشهد " أكثر انسجاما من " مات" أو " قتل " في مقام المقاومة.

-الاختيار على مستوى الأبنية النحوية الخاضعة لقواعد النحو.حيث يختار الأبنية الأكثر تعبيرا عن المعنى ، أو الأكثر تلاؤما مع القاعدة النحوية ، ومن أمثلة هذا النوع من الاختيار " أساليب القصر " ، " والتقديم والتأخير " ، والذكر والحذف وغيرها .

أ-2-السياق

قسم بعض الباحثين السياق إلى أربعة أنواع ، وهي : السياق اللغوي ، والسياق العاطفي ، وسياق الموقف ، والسياق الثقافي1 . فالسياق اللغوي يعني اختيار الألفاظ المناسبة للسياق ، أما السياق العاطفي فيعني التوافق بين البعد النفسي للكاتب وما يختاره من ألفاظ وأساليب، وأما سياق الموقف فهو المقام أو المناسبة او الحدث الذي يعبر عنه النص ، وأما السياق الثقافي فهو البيئة الثقافية التي ينتمي إليها المبدع أو المتلقي.

[1] أحمد مختار عمر ،علم الدلالة ، مكتبة دار العروبة ، الكويت ،1982 ص 69

وهذان المبدآن مما تقره لسانيات النص، بل وتعتمدهما في الدراسة النصية .

ب–**ما هو متعلق بالجانب الإجرائي** : حيث تُدرس الأسلوبية وفق المستويات التالية

–المستوى الصوتي.

–المستوى الصرفي والمعجمي.

–المستوى التركيبي.

–المستوى الدلالي.

ولسانيات النص تتجاوز هذه الدراسة إلى ما بعد الجملة ، فنتكلم بعدها عن المستوى النصي،حيث يعنى هذا الأمر بجوانب الاتساق والانسجام وغيرها من العناصر النصية التي تم ذكرها سابقا.